Received: 4/10/2021 Accepted: 7/10/2021 Published: 2022

النظريات السلوكية وتطبيقاتها في النص المسرحي ـ مسرحية يوم فقد الأمل ذاكرته انموذجا

م.م. صلاح نعمه عبد العالي أ.د. ايمان عباس علي
جامعة البصرة ـ كلية الفنون الجميلة ـ قسم الفنون المسرحية
الجامعة المستنصرية – كلية التربية الاساسية

مستخلص البحث :
لعبت النظريات السلوكية دورها البارز في تحليل الجانب النفسي للشخصية وخصوصا في مجال تفسير السلوك الانساني وانعكاسه على التصرفات عن طريق تحليل الدوافع والمسببات بمختلف انواعها , ويسجل لهذه النظريات انفتاحها الكبير على الدراسات النفسية والاجتماعية التي تتبعت مختلف الظروف والأسباب التي تؤثر في السلوك وتوجهه باتجاهات مختلفة , ومما يميز النظريات السلوكية هو دورها الداعم للعملية التعليمية التي تجعل من التعلم وسيلة ناجعة لتحقيق أهداف وغايات تعديل السلوك بالشكل الأمثل , وقد كان للفن بشكل عام والمسرح بشكل خاص دورا بارزا في عملية تغيير السلوك عبر طرح مختلف الحالات النفسية عن طريق الشخصيات الدرامية إذ يلعب البعد النفسي أهمية واضحة في رسم الشخصية الدرامية , ويسلط هذا البحث الضوء على نشأة وتطور النظريات السلوكية وارتباط تلك النظريات بالجانب التعليمي الذي يتخذ من الفن المسرحي وسيلة للتعلم والتغيير وخصوصا في مجال التنمية البشرية التي تسعى للنهوض بالواقع الاجتماعي وتحسين البيئة الاجتماعية للإنسان .

مشكلة البحث :
يتميز الفن المسرحي بانفتاحه الكبير على الدراسات والعلوم الموازية وخصوصا تلك العلوم التي تهتم بالشخصية الانسانية كونها المرتكز الأساسي الذي يعتمده النص المسرحي لتقديم النماذج الدرامية للمتلقي عبر النصوص المسرحية , ومن هنا كان هذا الارتباط يترجم الحاجة لمعرفة وتحليل دوافع الشخصية وسلوكياتها وخصوصا الجانب النفسي الذي يمثل أحد أهم الأبعاد المميزة للشخصية الدرامية , فمن خلال هذا الدافع يتم التعرف على السلوكيات والتصرفات للشخصية كون السلوك الإنساني يرتبط بقدرة البشر على الاستجابة للمؤثرات الداخلية والخارجية وتبرز هذه الاستجابة عندما يتعرض الانسان للمواقف الحياتية المختلفة التي تحدد وتوجه سلوك الإنسان وتبرز قدرته على التعامل مع مختلف المواقف التي يواجهها أثناء عملية النمو التشريحي ودور العوامل المؤثرة على تطور السلوك خلال المراحل الحياتية المختلفة ابتداء من مرحلة الطفولة وحتى مرحلة البلوغ , وقد اهتمت الدراسات الإنسانية والعلمية الحديثة بدراسة السلوك البشري وافردت لها مكانة خاصة لما لهذه الدراسات من أهمية قصوى في معرفة وتحليل سلوك الإنسان ودور هذه المعرفة في تنمية قدرات البشر وتعزيز دورهم في الحياة , وقد برزت الحاجة لدراسة وتحليل سلوك الإنسان بمختلف مراحله العمرية الى حاجة المجتمعات الحديثة للتنمية البشرية والدراسات المرتبطة بها والتي تساهم في بناء المجتمعات الحديثة وتعزيز دور المواطنة والعيش الكريم لمختلف الفئات العمرية, ويختلف السلوك البشري باختلاف الدوافع والمسببات كما يختلف السلوك تبعا للفترة العمرية التي يمر بها الإنسان وتبعا للظروف البيئية المحيطة وحجم ودور المؤثرات الداخلية التي تتعلق بطبيعة الشخصية البشرية وميولها الفيسيولوجية والنفسية وحجم ودور المؤثرات الخارجية التي تلعب دورا فاعلا في تحديد وتوجيه السلوك , ومن هذا المنطلق نشأت الدراسات النفسية التي اهتمت بالسلوك الانساني واخذت

على عاتقها تقديم دراسات مبنية على التجارب المختبرية تتعلق بعملية تعديل السلوك الانساني بمختلف جوانبه , ويطرح الباحث سؤال بحثه حول العلاقة المتبادلة بين النظريات التي درست وفسرت السلوك الانساني وتطبيق تلك النظريات في النصوص المسرحية .

أهمية البحث والحاجة إليه :

تتحدد أهمية هذا البحث في تسليطه الضوء على النظريات السلوكية التي درست وحللت السلوك الانساني وحاولت تقديم رؤاها المختلفة في ما يتعلق بعملية معالجة السلوكيات المختلفة .

أما الحاجة لهذا البحث فتتحدد بأنها تساعد العاملين والمشتغلين في مجال الفن المسرحي على معرفة النظريات السلوكية المرتبطة بالبعد النفسي (السيكولوجي) للشخصية وكيفية تطبيق هذه النظريات في النصوص المسرحية .

أهداف البحث :

1- دراسة النظريات السلوكية وتسليط الضوء على ارتباط هذه النظريات بالبعد النفسي للشخصية .

2- تحديد مدى وفاعلية الارتباط بين النظريات السلوكية وبين النصوص المسرحية عبر الأمثلة التطبيقية .

حدود البحث :

1- الحدود الزمانية : 2006

2- الحدود المكانية : العراق

3- حدود الموضوع : النظريات السلوكية وتطبيقاتها في النص المسرحي – نماذج مختارة

تحديد المصطلحات :

1- نظرية : عرفها معجم (لالاند الفلسفي) بأنها **((كل العلوم المتسمة جوهريا بسمة الاعلام من علائق شرطية فرضية , وعن قوانين تربط بين معطى ونتيجة , بين علة ومعلول , من علم القانون الى علوم الرياضيات والفيزياء والحياة والنفسانيات , تتعارض العلوم النظارية مع العلوم التاريخية التي تعالج الوقائع))[1] .**

2- سلوكية : عرفها (مراد وهبة) بأنها **((مذهب انشأه العالم الامريكي وطسون لتفسير السلوك بوصفه استجابة فسيولوجية للمنبهات الخارجية , ويرفض الشعور موضوعا والاستبطان منهجا , ويأخذ بالمنهج التجريبي الموضوعي كما في العلوم الطبيعية))[2] .**

التعريف الاجرائي :

النظرية السلوكية هي النظرية التي تسعى لتفسير السلوك الانساني عن طريق الخبرات التي اكتسبها الفرد في حياته , وهي نظرية تنتظم في مجال علم النفس كما أنها تندرج في نطاق البحوث التجريبية التي تعتمد على التجربة والقياس .

الإطار النظري : المبحث الأول النظريات السلوكية الارتباطية

شهدت بدايات القرن العشرين ولادة ما يعرف بالمدرسة السلوكية وهي أحدى المدارس التي اهتمت وركزت على دور التعليم كوسيلة مهمة لتغيير سلوكية الفرد , وهي مدرسة تدرس السلوك نتيجة للاستجابات الطبيعية أو الاجتماعية , وتخضع هذه المدرسة دراسة السلوك الإنساني الى جانب الدراسة التجريبية التي تخضع السلوك الى المتابعة القائمة على مدى تأثير الاستجابات الداخلية للفرد على المؤثرات الخارجية وفي مقدمة هذه المؤثرات هو التعلم الذي يمثل عملية متغيرة ومستمرة

[1] اندريه لالاند , موسوعة لالاند الفلسفية , تعريب : خليل احمد خليل , أشراف : احمد عويدات , الجزء الثالث , (بيروت : دار عويدات , 2008) , ص 1452 .

[2] مراد وهبة , المعجم الفلسفي , (القاهرة : دار قباء , 1998) , ص 376 .

تكسب الافراد مهارات التطور السلوكي , وقد أكد العالم النفسي (جون واطسون)* على ضرورة دراسة السلوك القابل للملاحظة وقدم نصيحته لعلماء النفس ((**أن يتركوا وللأبد دراسة الوعي والخبرات الشعورية وأن يتم التركيز فقط على السلوكيات التي نستطيع ملاحظتها مباشرة , وقد تمسك بهذا المبدأ بناء على اقتناعه بأن قوة الطريقة العلمية قائمة على كونها قابلة للملاحظة والقياس والاختبار , وأن استعمال أي أسلوب آخر سيعيدنا الى عصر الآراء الشخصية مما يتسبب بضياع المعرفة**))[1] , وبهذا فأن واطسون يؤكد على دراسة السلوك طبقا للظاهر وليس تبعا للمشاعر الداخلية التي لا يمكن الركون إليها من وجهة نظره لأن المشاعر حبيسة النفس ولا يمكن قياسها بالطرق العلمية على عكس الظواهر التي يمكن قياسها والتحكم فيها , وتبعا لهذا الرأي فقد اهمل واطسون دور التأثير الجيني أو العامل الوراثي على سلوك الإنسان واكتفى بالجوانب العلمية فقط مما أسهم بفتح الباب امام الدراسات النفسية المبنية على الاختبارات العلمية , ((**فالسلوكيين عرفوا السلوك بأنه النشاط الذي يقوم به الكائن الحي , ولا فرق عندهم أن تجسد هذا النشاط في حركات بسيطة أو في أفكار , فهذه وتلك استجابات تصدر عن العضوية ردا على المنبهات الخارجية , لذا فأن مهمة السلوكي تنحصر في الوقوف على العلاقة المباشرة بين المنبهات والاستجابات**))[2] , وقد فتحت هذه الآراء التي تبنتها المدرسة السلوكية الباب أمام الدراسات النفسية الحديثة التي اعتمدت على الجانب التجريبي في أجراء الاختبارات الخاصة بالسلوك عن طريق اخضاع الأشخاص مواضيع البحث للاختبارات النفسية التي تسهم في تغيير نمطهم السلوكي من حالة لأخرى وملاحظة وتسجيل المتغيرات للإفادة منها في مجالات الدراسات النفسية الممنهجة والقائمة على الأسس العلمية التي تعتمد أساسا على التجارب واستبعاد المنهج الاستبطاني في الدراسات النفسية وهو منهج يعتمد على الملاحظة الذاتية التي تستند الى الشعور ((**لأن السلوك والشعور عند واطسون مختلفان , فحينما يعرف واطسون علم النفس بأنه علم السلوك فأنه يريد أن يطرد ويستبعد من أساسه كل استبطان وكل رجوع الى الشعور**))[3] .

نظرية الاشتراط الكلاسيكي أو التعلم الشرطي لبافلوف

ترتبط نظرية الاشتراط الكلاسيكي بالعالم الروسي **(ايفان بيتروفيتش بافلوف 1849 - 1936)** وهي من النظريات المهمة التي وضعت حجر الأساس بالنسبة للتعلم والاستجابة , وتتلخص نظرية بافلوف في كونها تمثل اجراء تعليمي يتضمن اقتران التحفيز مع الاستجابة المشروطة , واشتهر بافلوف بتجاربه المرتبطة بتغيير السلوك باستخدام الحافز , وقد نال بافلوف ((**جائزة نوبل عام 1904 لأبحاثه على الجهاز الهضمي إلا أنه اشتهر أكثر ما يكون لتجاربه على الكلاب فيما بعد , وفي هذه التجارب كان يقوم بدق جرس ارتبط مسبقا بمسحوق اللحم وتمكن في نهاية الأمر من اشراط الكلاب بحيث يسيل لعابها عندما تسمع دق الجرس وفي غياب مسحوق اللحم**))[4] , وفي هذه التجربة يصبح صوت الجرس بمثابة عامل اقتران شرطي يحفز الكلاب على تخيل الطعام , بمعنى أن الكلاب بمجرد أن تسمع صوت الجرس فأنها تصبح متهيئة من الناحية النفسية لاستقبال الطعام , وهذه العملية – تهيئة الكلاب – تتم بواسطة التدريب المستمر الذي أوصل الكلاب لهذه المرحلة , ويصبح السلوك عبارة عن

• **جون واطسون (1878 – 1958) عالم نفس أمريكي يعد المؤسس للمدرسة السلوكية .**

[1] **ينظر ثائر غباري و خالد ابو شعيرة , علم النفس التربوي وتطبيقاته الصفية , الطبعة الأولى , (عمان : مكتبة المجتمع العربي , 2009) , ص 22.**

[2] **د. بشرى اسماعيل , المدخل الى علم النفس في القرن 21 , الطبعة الأولى , (القاهرة : الاتجاهات الثقافية للنشر والتوزيع , 2007) , ص56.**

[3] **المصدر نفسه , ص 55 .**

[4] **د. مصطفى ناصف , نظريات التعلم , مراجعة : د. عطية محمود هنا , (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , سلسلة عالم المعرفة رقم (70) , 1983) , ص 65 .**

ارتباط بين مثير شرطي التي يمثلها صوت الجرس واستجابة طبيعية وهي سيلان اللعاب , وهكذا تستمر العملية عبر تكرار نمط الاقتران بين المثير الشرطي وبين الاستجابة الطبيعية , ويستطيع علماء النفس استخدام هذه الطريقة على البشر عن طريق صناعة الحافز المشترط بالاستجابة ((**فالكائن الحي في تحركه العشوائي هنا وهناك يعمل عملا ما (كأن يضغط على رافعة ما) فيؤدي هذا العمل بدوره عملا آخر مثل تقديم الطعام , وبمرور الوقت فأن السلوك الوسيلي عند الكائن الحي المشار إليه يتأثر بنتائج العمل الأول (الضغط على الرافعة) , وهكذا فأن الكائن الحي تعلم أنه إذا كان هناك رافعتان إحداهما يحصل بالضغط عليها على طعام والثانية لا يحصل عليه فأنه (أي الكائن الحي) يتعلم الضغط على الأولى للحصول على الطعام**))[1] , وتستخدم النظرية الشرطية لفهم وتحليل السلوك بناء على الموقف التجريبي المبني على المحفز الذي يثير الاستجابة لدى الكائن الحي , وتسمى عملية الاستجابة في هذه النظرية بالاستجابة الشرطية وهي تختلف عن الاستجابة الطبيعية في كون الثانية تلقائية بينما الأولى مصطنعة , وقد مثلت نظرية الاشتراط الكلاسيكي واحدة من أهم النظريات النفسية الهادفة لتغيير السلوك بناء على مبدأ الاشتراط وقد فتحت هذه النظريات الباب واسعا للدراسات النفسية والتربوية الهادفة لتغيير سلوك الإنسان , إذ يصبح العلاج السلوكي بمثابة عملية بناء مدروسة قائمة على توفير بيئة تعليم مهارية يتم فيها اجراء التجارب العملية لتغيير السلوك , وتعطي هذه التجارب مثل تعلم بعض الألفاظ التي تعزز الشعور بالثقة وصولا للتجارب التي تعزز دور العقل عن طريق تنمية التفكير الايجابي وغيرها من الأمور التي تسهم في بناء الشخصية .

نظرية الارتباط المعرفي لثورندايك

ينتمي العالم النفسي الامريكي (**ادوارد ثورندايك 1874 – 1949**) الى المدرسة السلوكية ويعد أحد أبرز اعلامها ومنظريها لاسيما نظريته المتعلقة بتعديل السلوك عن طريق التعلم أو ما يطلق عليها نظرية التعلم المعرفي , إذ يعرف ثورندايك التعلم ((**بأنه سلسلة من التغيرات في سلوك الإنسان**))[2] , ومنهج التعلم في تغيير السلوك بحسب ثورندايك هو منهج قائم على التجارب المباشرة التي تخضع النموذج الاختباري الى الاستثارة وقياس حجم ونوع التغيير السلوكي الذي يطرأ على النموذج الاختباري , والتعلم هو عملية متغيرة وبنفس الوقت هي عملية نسبية تخضع لقدرة وقابلية الفرد على اكتساب مهارات التعلم وهضمها من أجل الافادة منها , كما أن التعلم لا يرتبط بمرحلة عمرية محددة لدى الإنسان بل هو عملية من الممكن أن تصبح مستمرة لأعمار متقدمة لكنها تبتدأ من عمر مبكر , وقد أطلق ثورندايك تسمية الارتباطية على هذه الطريقة التي تعتمد منهاج التعلم , والارتباطية هي ((**المذهب القائل بأن كل العمليات العقلية تتألف من توظيف الارتباطات الموروثة والمكتسبة بين المواقف والاستجابات وينظر الى هذا المذهب باعتبار أنه الأساس في نظرية ارتباط المثير والاستجابة (م – س)**))[3] , وكما تقدم تقوم نظرية ثورندايك على معادلة من طرفين الطرف الأول فيها هو المثير وهو نوع الأثارة التي يتم توجيهها الى النموذج الاختباري لتبيان ردة الفعل التي تحصل للنموذج عن طريق هذه الأثارة فمثلا يمكن أغراء حيوان معين بقطعة طعام من أجل اجباره على القيام بعمل أو تصرف معين كقفزة أو ركضة أو تأدية حركة بهلوانية أو ما شاكل , أو اغراء طفل بأنه في حالة انجاز واجبه الدراسي فأنه سوف يحصل على جائزة معينة كنزهة خارج المنزل أو اعطاءه قطعة نقدية كمكافأة له , وهذه الإثارات المتنوعة تستخدم بشكل مدروس لتغيير نمط السلوك لدى الإنسان أو الحيوان على حد سواء وهي عملية تربط الأثارة بالاستجابة , وكما هو الحال بالنسبة لنوع الأثارة فأن

[1] المصدر نفسه , ص 66 .
[2] المصدر نفسه , ص 16 .
[3] المصدر نفسه , ص 19 .

الاستجابة تكون متباينة وتحتاج الى الاستمرارية لتحقيق أهدافها المنشودة فليس كل البشر يمتلكون نفس القدرة على الاستجابة للمثيرات وهي مسألة طبيعية تحددها طبيعة البشر ونوع التعلم الذي يتلقونه , وهنا يلعب التعلم دورا بارزا في نظرية ثورندايك إذ ((**ينطوي الموقف التعليمي على درجة من التعقيد تعكسها متغيراته أو مكوناته أو عناصره حيث تعمل هذه العناصر أو المكونات مع بعضها البعض بصورة تفاعلية ذات تأثيرات متبادلة , وهذه العناصر أو المكونات هي : المتعلم The Learner,وموقف المثير ,Stimulus Situation وظروف التعلم , Learning Condition نواتج التعلم أو الاستجابة , Response وتشكل العناصر أو المكونات الثلاث الأولى مدخلات الموقف التعليمي بينما يعبر العنصر أو المكون الرابع عن مخرجات أو نواتج الموقف التعليمي**))[1] .

وطبقا لما تقدم فأن اختيار المتعلم يمثل اللبنة الأولى بالنسبة لهذه النظرية , وتخضع عملية اختيار المتعلم لاعتبارات مختلفة مثل العمر ودرجة الوعي وحجم الثقافة وطبيعة البيئة وهي عملية متباينة من شخص لآخر كما تقدم , ويكون الموقف المثير هو الأساس في هذه النظرية التجريبية إذ تستخدم المؤثرات المختلفة لتحقيق أقصى درجة استجابة حيث يكون السلوك المبني على الاستجابة بمثابة النتيجة التي تربط بين المثير وبين الاستجابة , وتمثل الاستجابة كل نشاط يثيره منبه أو مثير .

التحليل التجريبي بورهوس سكنر

كغيره من العلماء السلوكيين اتجه العالم الامريكي **(بورهوس فردريك سكنر 1904 – 1990)** الى الجانب العلمي المرتبط بالتعليم لفهم وتطوير سلوك الإنسان , وبهذا الصدد فأن سكنر لم يبتعد كثيرا عن طروحات مواطنه واطسون مؤسس المدرسة السلوكية الحديثة التي فصلت ما بين المشاعر والعواطف وما بين سلوك الكائن الحي , وقد استفاد سكنر من تجارب من سبقه من أعلام المدرسة السلوكية رغم كونه اختلف عنهم عن طريق طرحه لأفكار ورؤى مغايرة مثلت وجهة نظر جديدة بالنسبة للمدرسة السلوكية , ويمثل هذا الاتجاه القاسم المشترك لمعظم رواد المدرسة السلوكية الذين أكدوا على انتهاج الطرق العلمية المرتبطة بالتجريب والقياس , وقد أطلق سكنر تسمية التحليل التجريبي على نظريته السلوكية , إذ ((**يقدم التحليل التجريبي للسلوك فوائد ممائلة , حين نقوم بملاحظة عمليات سلوكية تحت ظروف مسيطر عليها , فإننا نتمكن بيسر وسهولة أكثر من ذي قبل من تحديدها في العالم كله , ونتمكن من التعرف على الملامح الهامة في السلوك والبيئة , ونصبح قادرين على إهمال الملامح التافهة مهما بدت فاتنة وجذابة , يمكننا رفض التفسيرات التقليدية إذا كانت قد جربت ووجدت ناقصة بموجب تحليل تجريبي , ومن ثم نمضي الى الأمام في بحثنا بحب استطلاع لا يكل ولا يتوقف**))[2] , وكما هو ملاحظ مما جاء اعلاه فأن سكنر يربط بين سلوك الفرد وبين بيئته ومجتمعه الذي يعيش فيه , وهو لا يهمل هذا الترابط بينهما كمؤثر مباشر واضح التأثير على نوع السلوك , كما أن سكنر يعطي للتحليل التجريبي وهو تحليل مبني على فرضية التعلم ((**وفي الواقع فإن اتجاه سكنر في تفسير الشخصية هو اتجاه ديناميكي , إذ يقوم على نظرية التعلم , وهي عملية متحركة , تفترض ثلاثة أمور هي : الارتباطات التي يتكون منها السلوك , والتدعيم والعوامل البيئية المحددة للسلوك**))[3] .

[1] د. فتحي مصطفى الزيات , سيكولوجية التعلم بين المنظور الارتباطي والمنظور المعرفي , الطبعة الثانية , (القاهرة : دار النشر للجامعات , 2004) , ص 29 .
[2] ب . ف . سكنر , تكنولوجيا السلوك الإنساني , (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , سلسلة عالم المعرفة رقم (32) , 1980) , ص 22 .
[3] د. نعيمة الشماع , الشخصية : النظرية التقييم مناهج البحث , (بغداد : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية , 1981) , ص 71 .

يحدد سكنر ارتباطات السلوك بالجانب التعليمي فيما يتعلق بتغيير طبيعة السلوك أو ما يسمى بعملية التعلم السلوكي , ويطرح سكنر فيما يتعلق برؤيته للتعلم السلوكي ما يسميه بالاشتراط الاجرائي المدعم بالتعزيزات المختصة بتغيير السلوك والتي تحدث عن طريق الوعي القائم على مبدأ الثواب بدلا من العقاب ((**فمثلا بتقليل ساعات العمل وتحسين ظروفه أصبح بالإمكان جعل الناس يعملون بأجر أقل , وحتى وقت قريب كان التدريس كله تقريبا منفرا , إذ كان التلميذ يدرس لينجو من عواقب عدم الدراسة , ولكن الوسائل غير المنفرة أخذت تكتشف تدريجيا , ويتعلم الوالد الحاذق أن يشيب طفلا على سلوك جيد بدلا أن يعاقبه على سلوك سيء , , وتنتقل المؤسسات الدينية من الجديد بنار جهنم الى التأكيد على حب الله**))[1] , ويلاحظ فيما تقدم تغير طريقة العلاج السلوكي لدى سكنر من الشكل السلبي للشكل الإيجابي بالنسبة للمتلقي , ويطلق سكنر تسمية التعزيز نسبة للسلوك الإيجابي الذي يحصل فيه الشخص على نتائج ايجابية , بينما يطلق تسمية العقاب إذا كانت النتائج سلبية , فبدلا من ترهيب الشخص بالعواقب الصارمة القائمة على مبدأ العقاب تتحول عملية تغيير السلوك الى الجانب الإيجابي القائم على ترغيب الشخص بالنتائج الإيجابية التي تترتب على انتهاج السلوك المغاير طبقا لإجراءات التعلم وما يترتب عليها من استجابات سلوكية , حيث يتم تثبيت السلوك الإيجابي عن طريق التعزيز وبنفس الوقت إزالة السلوك السلبي عن طريق العقاب , والعقاب هنا لا يأت بصفة سلبية مطلقة بل يأت على شكل تحذير وتنبيه سابق ولاحق ينبه الفرد ويحذره من نتائج السلوك السلبي وما يترتب عليها من عقاب .

المبحث الثاني : نظريات الأدراك السلوكية ومدرسة التحليل النفسي

نظرية الإدراك الجشطالتي

تعد نظرية الجشطالت من بين أهم النظريات النفسية التي عارضت التوجهات الارتباطية والأفكار التي طرحتها المدرسة السلوكية فيما يتعلق بالتعلم والسلوك , والجشطالت هي ((**لفظة المانية الأصل تعني الشكل أو النمط والصيغة , والجشطالت هو الكل المتكامل وليس مجرد مجموع للوحدات والأجزاء , فالخصائص العائدة لصيغة الكل تختلف عن مجموع خصائص الأجزاء التي يتألف منها هذا الكل : أما الجشطالت في علم النفس فهو مدرسة نشأت في المانيا خلال العقود الباكرة من القرن الحالي , وانطلقت من سيكولوجية الإدراك فاعتبرته يتجه في بادئ الأمر نحو الشكل الكلي لا نحو الأجزاء , بحيث يتم أدراك الجزء ضمن إطار الكل**))[2] , وترافق ظهور مدرسة الجشطالت في المانيا مع ظهور المدرسة السلوكية في أمريكا , وأهتمت مدرسة الجشطالت بدراسة المدركات الحسية وتأثيرها المباشر على السلوك وهي المدركات التي اهملتها المدرسة السلوكية , وبحسب نظرية الجشطالت فأن النفس البشرية في الواقع هي عبارة عن الأجزاء المكونة لها وفي مقدمة هذه الأجزاء : المشاعر والأحاسيس ((**فالمجال السلوكي هو ذلك الحيز الذي يتعلق مباشرة بالذات وما حولها من موضوعات تثير فيه نوعا معينا من الدوافع فتنشأ التوترات التي تبقى مستمرة إلى أن تنتهي بأكمال أو اشباع حاجات هذه التوترات , فمتى ما تكونت حاجة عند الإنسان أصبحت تلك الحاجة تكون بؤرا للتوترات , والتوتر يؤدي إلى الاخلال في التوازن فيحاول الفرد عن طريق تحقيق الهدف أو الحاجة من إعادة التوازن**))[3] , واهتمت نظرية الجشطالت بالإدراك كأبرز مجال من مجالات عملها التحليلي المتعلق بجانب دراسة وتحليل السوك الإنساني , وهي بهذا تكون قد نقلت موضوع اهتماماتها الى الجانب النفسي المرتبط بالدماغ البشري مباشرة بوصفه مكان ومنطقة التحكم الرئيسة والمسيطرة على

[1] سكنر , المصدر السابق , ص 31 .
[2] د. اسعد رزوق , موسوعة علم النفس , مراجعة : د. عبد الله عبد الدايم , الطبعة الثالثة , (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر , 1987) , ص 92 .
[3] قاسم حسين الصالح , الإبداع في الفن , (عمان : دار دجلة , 2011) , ص 24 .

الأفعال والتصرفات السلوكية للكائن الحي ((**وفي رأي علماء النظرية الجشطلتية أنه إذا ما أردنا أن نفهم لماذا يقوم الكائن بالسلوك الذي يسلكه فلا بد لنا من أن نفهم كيف يدرك هذا الكائن نفسه والموقف الذي يجد فيه نفسه , ومن هنا كان الإدراك من القضايا الأساسية في التحليل الجشطلتي بمختلف أشكاله**))[1] , وهكذا تكون الصورة الإدراكية للكائن هي الأساس الذي يجب ان تبنى عليه كل عمليات التحليل في هذه النظرية , ومن هنا لابد أن تكون هذه الصورة الإدراكية مرتبطة بشكل بديهي بالوعي الذي يمتلكه هذا الكائن ومسألة الوعي هي مسألة متفاوتة من شخص لآخر , وبمعنى آخر لابد من تنشيط وعي الإنسان لكي يكون على دراية بما يفعله وكيف يتصرف وكيف يضبط سلوكه في مختلف المواقف الحياتية التي تواجه الناس في حياتهم اليومية وردة فعلهم أزاء كل منها , وطالما ربطنا التعلم بالوعي والمدركات الحسية فأن التجارب الحيوانية التي بنت عليها النظرية السلوكية آرائها لا تصلح للتطبيق ولا للقياس في طريقة التعلم الجشطالتية , فالحيوان يتصرف بناء على غريزته بعكس الإنسان الذي يتصرف بناء على وعيه ومدركاته الحسية ((**لذلك تختلف الطريقة الجشطالتية في فهمها للتعلم اختلافا جذريا عن وجهات النظر السابقة , بل أنها تتناقض تناقضا حادا مع وجهات النظر المعاصرة لها والخاصة بالتعلم والتي تقوم على التركيز على قضايا مثل كيفية ارتباط المثير الشرطي بالمثير غير الشرطي عند ما يسحب او يستخرج الاستجابة الشرطية أو كيف يمكن للمثير المعزز أن يزيد من احتمال صدور استجابة وسيلية خاصة بحضور مثير مميز , (....) , فالتعلم الحقيقي الأصيل لا يوجد كثيرا من الربط الحقيقي بينه وبين ما يسمى الروابط الأخرى , فالأساس في التعلم الفهم والاستبصار والإدراك**))[2] , واستنادا على ما تقدم فأن التعلم السلوكي حسب نظرية الجشطالت يرتبط بالبنية أو الكل المنظم وانعكاس الأجزاء على الكل , وعلى سبيل المثال عند النظر الى لوحة فنية فأن المتلقي يشاهد أمامه لوحة واحدة لها خصائصها الجمالية وليس كجزيئات مفصلة مثل المادة الخام التي تم الرسم عليها أو نوعية الألوان المستخدمة أو طبيعة الموضوع الذي تناوله الفنان .. الخ , فجميع هذه الأجزاء تألفت فيما بينها لتشكل اللوحة الفنية فالبنية مثلت الأساس الذي حدد طبيعة الأجزاء , وبالإضافة الى عنصر البنية يلعب التنظيم دورا مهما في نظرية الجشطالت إذ ((**يتمسك علماء الجشطلت بأن الظواهر النفسية – ومنها الإبداع الفني والإدراك الفني – يمكن أن تكون قابلة للفهم فقط أذا نظر إليها بوصفها كليات ذات شكل خاص , فالتفاحة مثلا ليست مجرد تجميع للعناصر المكونة للتفاح كاللون الأحمر مثلا والشكل الخاص والصلابة والاستدارة والرائحة .. الخ , فالكل أو الصيغة الكلية التي تكون التفاحة ليست مجرد تجميع لهذه العناصر , بل تنظيم لها بشكل خاص ومتميز وفريد**))[3] , فالتنظيم يمثل حجر الزاوية في الترتيب الجمالي للأشياء ومنها تنظيم الأدراك النفسي , إذ يميل الإنسان لإدراك ما حوله من مواقف مختلفة وتنظيمها وتنظيم سلوكه منها وإزاءها حسب ما تقتضيه الضرورات , وهنا يكون التنظيم بمثابة الضابطة التي تميز العقل والوعي تجاه ما يحيط بالإنسان من تحديات أضافة لكون التنظيم في مثل هذه الحالة يجسد العقل السليم الذي يحرك الإنسان نحو السلوك والتصرف القويم .

بناء على ما تقدم يرتكز العلاج السلوكي حسب نظرية الجشطالت الى الجانب النفسي المتمثل بالعقل والمشاعر الإنسانية , فهذه النظرية تعطي للعقل السلطة العليا على تصرفات وسلوك الفرد البشري وضرورة فهم سياق حياته كمقدمة لفهم كيفية علاجه النفسي , وتحدد نظرية الجشطالت تفسير وتغيير السلوك الإنساني بناء على الإدراك والبنية والتنظيم .

[1] د. مصطفى ناصف , المصدر السابق , ص 200 .
[2] المصدر نفسه , ص 201 .
[3] د. شاكر عبد الحميد , التفضيل الجمالي : دراسة في سيكولوجية التذوق الفني , (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب , 2016) , ص 161 .

مدرسة التحليل النفسي

يبرز اسم الطبيب والعالم النفسي النمساوي (**سيغموند فرويد 1856 – 1939**) كواحد من أهم العلماء النفسيين الذين أسسوا ما يعرف بعلم التحليل النفسي , وعلم التحليل النفسي هو جزء من علم النفس العام وهو علم متخصص بدراسة وتفسير وتحليل الشخصية الإنسانية بناء على ما يصدر منها من سلوكيات وأفعال , ويقدم فرويد نظريته المتعلقة بتصوراته الخاصة للشخصية الإنسانية ((**ومن طبيعة نظرية فرويد أنها بنيانيةStructural إذ تتكون الشخصية في نظره من ثلاث نظم أساسية هي : الهو , والأنا , والأنا الأعلى , وأن التفاعل الديناميكي والصراع بين هذه النظم الثلاثة هو الذي يحدد السلوك وتظهر الميزة البنيانية في نظرية فرويد أيضا من خلال التأكيد على أن الإنسان يعمل على مستويات مختلفة من الوعي : الشعور وما قبل الشعور واللاشعور , ولما كان سلوك الإنسان يتصف بالتعقيد نتيجة الصرعات بين مكونات الشخصية الثلاثة فأنه لفهم شخصية الفرد يجب أن نكشف عن الصرعات المعينة التي تعتمل داخل الفرد**))[1] , وهذه التقسيمات الأساسية للشخصية والتي تتكون حسب وجهة نظر فرويد من هذه المكونات الثلاث المتداخلة فيما بينها والتي تتحكم بالسلوك الإنساني , فالهو يمثل منطقة اللذة وهو مخزون الشخصية الرئيسي الذي يولد مع الإنسان ((**ومضمونه كل ما هو موروث , كل ما يظهر عند الميلاد , كل ما هو مثبت في الجبلة, لذا فهو يتألف أولا وقبل كل شيء من الميول الغريزية التي تصدر عن التنظيم الجسمي**))[2] , وما يميز مكون الهو هو وقوعه في المرحلة البدائية لحياة الإنسان وهي مرحلة الطفولة المبكرة التي لا تتعامل مع العقل ولا تخضع لسيطرته لكون الطفل لا يتمكن ولا يستطيع من استخدام التفكير العقلي المستقل وإنما يتعامل مع حاجاته الأساسية وغرائزه فقط مثل غريزة الجوع التي تكون بحاجة للإشباع وبالتالي فأن هذا المكون يكون بعيد عن التحكم وهو بذلك لا يخضع للتقييم العقلي , وطبقا لهذا يشكل مكون الهو الأساس في بناء الشخصية بالنسبة للإنسان بحسب وجهة نظر فرويد , وطالما كان مكون الهو بهذه المكانة فهو موجود بشكل فطري في حياة الفرد مما يعني أن السلوك الناتج عن مكون الهو هو سلوك لا أرادي . ما بالنسبة لمكون الأنا وهو المكون الثاني من مكونات الشخصية ويأتي بعد مكون الهو , فهو على العكس من مكون الهو الذي يكون خارج نطاق منطقة التحكم البشري في الوقت الذي يمثل مكون الأنا المنطقة الواقعية للشخصية , وطالما كان مكون الأنا مرتبط بالجانب الواقعي من الشخصية فهو يرتبط كذلك مع ما يطلق عليه فرويد تسمية (جهاز الأدراك – الشعور) , ويلعب ((**الأدراك الحسي في الأنا نفس الدور الذي تلعبه الغريزة في الهو , ويوجد الأدراك الحسي في السطح الخارجي للأنا وهو لذلك أقرب شيء من الأنا للعالم الخارجي , والأدراك الحسي يعني الواقع , والأنا لذلك يتحكم فيه مبدأ الواقع , واختبار الواقع هو الذي يتسنى به التمييز بين ما هو واقع , وما هو غير واقع كأن يكون تخيلات أو هلاوس , وكما يكون الأدراك الحسي للمنبهات الخارجية فكذلك يكون للمنبهات الداخلية وهي المسماة المشاعر الوجدانية**))[3] , ونلاحظ من تعريف فرويد لعلاقة الأنا بالإدراك الحسي أنه يميز بين ما هو واقعي وما هو غير واقعي , فالجانب الواقعي المرتبط بالإدراك هو كل ما يتعلق بالمشاعر التي يحسها ويستشعرها الفرد وهو في حالة تركيز ذهني طبيعي أي أنه في لحظة أحساس تام بما حوله وما يتصرف به من سلوك يتناسب مع طبيعة اللحظة الانفعالية التي يعيشها , أما الجانب الغير واقعي فيرده فرويد لجانب التخيل الذي يعيشه الفرد في بعض أجزاء حياته حيث يتصور الأشياء في مخيلته بعيدا عن واقعها التطبيقي , بالإضافة لهذا الجانب فأن الأنا

[1] د. نعيمة الشماع , المصدر السابق , ص 21 – ص 22 .
[2] سيغموند فرويد , الموجز في التحليل النفسي , ترجمة : سامي محمود علي و عبد السلام القفاش , (القاهرة : مشروع القراءة للجميع , 2000) , ص 26 .
[3] د. عبد المنعم مدبولي , المعجم الموسوعي للتحليل النفسي , (القاهرة : مكتبة مدبولي , ب ت) , ص 31 .

تعمل ((**عملها الوظائفي بوصفها مرجعا رئيسيا يؤمن مصالح الشخص في كليته , إذ يوفق بين المقتضيات المختلفة للهو , والأنا العليا , والعالم الخارجي**))[1] , وهنا تتحول الأنا الى رابط بين منطقة السلوك الغرائزي الذي تمثله منطقة اشتغال الهو والمرحلة السلوكية المتقدمة التي تمثلها منطقة الأنا العليا. يرتبط مكون الأنا العليا بمرحلة نضوج الشخصية وسيطرتها على سلوكها وتصرفاتها بشكل مسيطر عليه من قبل الفرد قياسا بما سبقها من مكونات (الهو و الأنا) , وبعبارة أخرى هذا المكون هو بداية تكوين الشخصية وبالتالي فأن هذا المكون يمثل مرحلة البداية للسيطرة والتحكم بالسلوك العام , والأنا العليا هو ((**ممثل الضمير , ومستودع المثاليات والأخلاقيات والقيم والعادات وهو الجهاز الداخلي النفسي للإنسان, وظيفته الأساسية مراقبة تصرفات الأنا والحكم عليها , ومن ضمن أهدافه محاولة وصول الفرد الى الكمال من خلال اقناع الأنا بأن تحل الأهداف الأخلاقية محل الأهداف الواقعية**))[2] , ويبرز هذا المكون من مكونات الشخصية بوصفه ضابطة اخلاقية وكمالية للسلوك إذ يبدأ تأثير الضمير في توجيه السلوك نحو القيم المثالية مما يعني أن هذا المكون من مكونات الشخصية يمتاز بالدور الرقابي الداخلي للفرد والذي يحاول الوصول بالسلوك الإنساني الى أفضل صورة. ونستنتج مما تقدم أن التفاعل بين مكونات الشخصية الثلاث يحدد للشخصية الإنسانية سلوكها وتصرفاتها , وأن هذا التفاعل هو المسؤول عن ما يحيط الشخصية الإنسانية من توترات واضطرابات سلوكية أو العكس حيث تكون هذه المكونات كما يراها فرويد هي الأساس في التحليل النفسي للشخصية , ويعتمد التحليل النفسي والعلاج السلوكي لدى فرويد على مصطلح (التداعي الحر) حيث سلط فرويد ((**الضوء على العوامل النفسية المحركة والتي تحفز السلوك وركز على دور اللاشعور , وطور أول إجراءات في العلاج النفسي من أجل فهم وتعديل التركيبة الأساسية لشخصية الفرد , والنظرية تنظر الى الفرد على أنه شهواني وعدواني ومع ذلك فهي مهمة لأي عمل إرشاد نفسي والتي تتضمن إجراءات من عملية التحليل النفسي (التداعي الحر والتنفيس الانفعالي) أي فن دراسة العقل الباطن**))[3] , وتقوم عملية التداعي الحر مقام التنويم المغناطيسي حيث تتضمن العملية استرخاء المريض على سرير من أجل استرجاع الأحداث التي مرت على الفرد من أجل معرفة ما مر به من ذكريات ولحظات سابقة ((**وقد كان اعتقاد فرويد أولا أن تحويل الصراعات من اللاشعور الى الشعور كفيل بحلها والوصول بالمريض الى الشفاء وزوال أعراض المرض**))[4] , وتبرز طريقة التداعي الحر دور العقل الباطن – مرحلة اللاشعور – وتأثيراتها المباشرة على الحياة الواقعية وعلى مرحلة الشعور عن طريق العودة الى مخزون الذكريات التي احتفظ بها العقل والتي كانت مسؤولة عن السلوكيات البشرية السوية وغير السوية مثل تعرض الفرد الى حادث معين يتسبب بنفوره من اشياء معينة او غيرها من الأحداث التي يبقى لها مدى وحجم معين من التأثير المباشر على السلوك .

ما أسفر عنه الإطار النظري

1- تنقسم النظريات السلوكيات الى نظريات ارتباطية مثل نظرية بافلوف ووظيفية مثل نظرية ثورنديك ومعرفية مثل نظرية الجشطالت .

2- اهتمت النظريات السلوكية بعملية التعلم وجعلت منها المرتكز الأساسي في عملية تعديل السلوك .

[1] مجموعة مؤلفين , مراجع الشخصية : الهو والأنا والأنا العليا دراسة في التحليل النفسي , ترجمة : وجيه أسعد (دمشق : منشورات وزارة الثقافة , 2002) , ص 92 – ص 93 .
[2] د. خالد النجار , نظرية التدافع : نحو نظرية لفهم وتفسير السلوك الإنساني , (القاهرة : مؤسسة حورس الدولية , 2018) , ص 129 .
[3] هناء الرقاد , نظريات الشخصية وقياسها , الطبعة الأولى , (عمان , دار المأمون , 2018) , ص 52 .
[4] د. نعيمة الشماع , المصدر السابق , ص 23 .

3- لعبت الدوافع المختلفة (اجتماعية ونفسية وغيرها) دورا واضحا في توجيه السلوك الإنساني نحو الأهداف المختلفة .
4- تمثل طرق التعلم النفسية والسلوكية عملية تغير نسبي دائم في شخصية الفرد فيما يتعلق بالمعرفة والمهارة والسلوك وهي تعتمد على الخبرة والممارسة وليس على النضج .
5- تشكل مرحلة اللاوعي الجماعي الخزين الذي يحتفظ بالعادات والسلوكيات التي يتوارثها الإنسان عن أسلافه وهي جزء مهم من دراسة وتحليل الشخصية الإنسانية .

الفصل الثالث : اجراءات البحث

1- مجتمع البحث : يضم مجتمع البحث مجموعة نصوص الكتابة على خشبة المسرح والتي تضم النصوص التالية :

ت	المسرحية	المؤلف
1	دمى من ورق	ادريس الروخ
2	حمام بغدادي	جواد الاسدي
3	اوديب من الشرق	حافظ الجديدي
4	غزير الليل	خالد ونجيب جويلي
5	عطر البنات	محمود ابو دومة
6	يوم فقد الأمل ذاكرته	نمر سلمون

2- عينة البحث : تم اختيار عينة البحث وهي مسرحية (يوم فقد الأمل ذاكرته) بشكل قصدي من لدن الباحث لاحتوائها على المضامين التي يتوخاها الباحث والتي تتلائم وتنسجم مع موضوع البحث .
3- أداة البحث : قام الباحث بتحديد أداة البحث وفقا للدراسات التي تناولت النص الذي تم اختياره إضافة الى النتائج التي توصل لها الباحث عن طريق مؤشرات الإطار النظري .
4- وسائل البحث : المصادر والمراجع والكتب ذات العلاقة بمشكلة البحث .
5- منهج البحث : اعتمد الباحث منهج التحليل الوصفي في تحليل عينة البحث .

تحليل العينة :

1- الفكرة العامة للنص : تدور أحداث المسرحية في منزل (نور وسمر) وهما أسرة فنية إذ يعمل الزوج في مجال الفن المسرحي , بينما تعمل الزوجة في مجال الفن التشكيلي وهما يمثلان اتجاهان فنيان , ونتيجة لهذا التمازج الفني ينتج صراع نقدي بين الزوجان يتعلق بالجانب النفسي للشخصيات الواقعية والفنية على حد سواء حيث يبرز هذا الاختلاف جوانب مهمة من السلوكيات الانسانية .
تبدأ احداث المسرحية بحوار بين الزوج وزوجته وتحديدا حول ما ترسمه الزوجة من أعمال فنية واعتزاز الزوجة بهذه الأعمال في مقابل انكار الزوج لموهبة زوجته :

((نور : المسرح إنسان في الدرجة الأولى , (مؤكدا) إنسان , وهذا بالضبط ما ينقص لوحتك , لم تخرجي في تفسيرك اللوني للموت والحياة عن التعبير التقليدي , الأسود والأبيض .
سمر : لكني مزجتهما بألوان أخرى كثيرة ومختلفة في درجاتها , ومعانيها كناية عن الاختلاط اليومي الذي يحدث بين الناس والموت والحياة .

نور : أنا لا اعترض على ألوانك بل على تفسيرك للموت والحياة على أنهما نقيضان))[1] .

يجسد هذا الحوار بين الزوجان الرؤية الفنية التي يرى بها كل منهما العالم والأحداث التي تحيط بهما , فالزوج ينحاز لوظيفته الفنية المسرحية ويحاول أن يبرهن لزوجته أن الفن المسرحي يمثل الإنسان بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى , فاللوحة الفنية بحسب الزوج لا تكتمل إلا عن طريق تمثيلها المباشر لما يحتاجه الإنسان في عالم الواقع , وهنا فالزوج يفصل العالم الواقعي عن العالم الافتراضي الذي يمثله الفن بشكل عام والرسم بشكل خاص , فالفن لا يمثل الإنسان في الواقع إلا عندما يقرب الصورة الفنية من الحياة الإنسانية وبالتالي فالفن يمثل السلوك الغرضي الذي يكون عادة مرتبطا بالبيئة والذي يمكن السلوك لأن يصبح واعياً بما يحتاجه الإنسان من شعور وتمثيل نفسي , كما أن للسلوك تأثير مباشر على العالم الخارجي المحيط بالكائن الحي والذي ينشأ عادة عن علاقات الناس ببعضهم البعض (علاقة الزوج بزوجته) كما هو الحال في هذا النص المسرحي , وفي ذات الوقت تحاول الزوجة أن تعيد زوجها الى منطقتها التي تمثل وظيفتها الفنية ووجهة نظرها الخاصة عن العالم وعن الحياة , إذ أن الزوجة لم تبتعد كثيرا (بحسب وجهة نظرها) عن وصفها لدلالة الموت والحياة وهي المسألة التي يفسرها الزوج بشكل مغاير , فهي ترى أن الألوان وما تحمله من دلالات ومعان تشبه وتعكس العلاقات الانسانية في الوقت الذي يرفض فيه الزوج أن يفصل بين الحياة وبين الموت .

((نور : ليس على الإعلان المسرحي أن يكون وسيلة إيضاح لما سيعرض بل مفتاحا أوليا للتفكير بما يمكن أن يحمله العرض من تكوين إبداعي وفكري .

سمر : (مستسلمة) أنت تعرف في المسرح أكثر مني .

نور : لا علاقة لما قلت بالمعرفة المختصة , بل بالمعجم الخاص لكل رجل مسرح))[2] .

يعود الزوج ليطرح رؤيته وفلسفته الخاصة التي تعكس ارتباطه الوثيق بمسألة التخصص , فالزوج هنا يربط بين تأثير الفكر المسرحي على شخصيته (نظرية الاقتران الشرطي) ويبني عليها مواقفه , وهذا التأثير الواضح للفكر المسرحي على شخصية الزوج يندرج تحت نطاق المثير الشرطي الذي طرحه (بافلوف) وهو ما يفسر سلوك الزوج بشكل واضح , إذ أن الزوج يتصرف طبقا للحافز الذي يتعايش مع البعد النفسي لديه والمتمثل بسيطرة الانتماء للمسرح والتي تتوضح بشكل جلي خلال نقاشه مع زوجته , وفي هذا النقاش يلاحظ ميل الزوج لتخصصه الفني واستماتته بالدفاع عن مواقفه قصاد زوجته التي لا تتمكن من مجاراته فيما يطرح من أفكار , فما أن يذكر أسم المسرح إلا ونرى استجابة قائمة على الأثارة من لدن الزوج تفسر اندفاعه وانحيازه لما يراه من أفكار , وبما أن الزوجة هي فنانة تشكيلية وهي بهذا الوصف (الجانب الفني) لا تختلف كثيرا عن الزوج إلا أنها لا تستطيع مجاراة زوجها في طريقة النقاش ومرجع هذا الأمر يعود للجانب النفسي الذي يلعب دوره في رسم الشخصية حيث يبرز الكاتب التفاوت الشخصي بين الزوجان والذي يخلق المفارقة الدرامية ودرجة الصراع النفسي بينهما . **((صوت 1 : كفي عن دغدغتي بريشتك أيتها المرأة , لن تنفع معي كل محاولات الإغراء لكي اتركك بسلام عندما تحين ساعتك فليس هناك قوة تنقذك مني , آننذ سأعلمك فن الدغدغة على أصوله , إذ كانت دغدغتك تثير في الضحك فأن دغدغتي لك ستثير فيك السلام))[3] .**

ينتقل النص الى طرح مسألة التأثير المقابل وعوامل الأثارة المتقابلة بين الشخصية الافتراضية التي رسمتها الزوجة وبين الشخصية الواقعية , فالصوت يمثل الشخصية الافتراضية التي تتحاور في عالم الخيال مع شخصية الزوجة الواقعية لخلق حالة من حالات التأثير المتقابل بين عالم الفن وعالم الواقع

[1] نمر سلمون , مسرحية : يوم فقد الأمل ذاكرته , نص مسرحي منشور في مجموعة : الكتابة على خشبة المسرح , الطبعة الأولى , (القاهرة : دار شرقيات للنشر والتوزيع , 2006) , ص 204 .
[2] المصدر نفسه , ص 206 .
[3] المصدر نفسه , ص 207 .

وهذا التأثير ليس تأثيرا ذا بعد مادي ملموس بل هو صورة متخيلة تنشأ في عالم المحسوسات متمثلا بما يتركه الفن من تأثير مباشر على المتلقي من لدن الفنان , فالفن يمثل رسالة تحمل مضامين شتى من بينها الجانب النفسي الذي يمثل أحد أهم الأهداف التي يسعى لها الفنان وهو يقدم رسالته الفنية , وهذا الهدف النفسي يرتبط ارتباطا وثيقا بجانب التأثير المتقابل بين المتلقي الذي يمثل الطرف الواقعي للحياة بكل ما فيها من تقلبات وأمزجة مختلفة وبين عالم الفن القائم على الصورة المتخيلة عن الحياة , وهذان العالمان متوازيان من حيث الامتداد لكنهما مختلفان من حيث التصنيف . فالعالم الفني يمثل الانعكاس الذي ترسمه المرآة التي تعكس الصورة التي تقف أمامها وهذا العالم لا يشبه بالضرورة حقيقة ما يعكس من حقائق لأن الفن بشكل عام مبني على رؤية غير حقيقية لما يقدمه من صور وهذه الرؤية ترتبط بالأحاسيس والمدركات النفسية أكثر من ارتباطها بالعقل , ويمثل الأدراك الحسي جوهر نظرية علماء (الجشطالت) الذين يرون أن الصورة الإدراكية ترتبط بوعي الكائن الحي , وفي هذه الحالة لابد من تنشيط وعي الإنسان لكي يكون على دراية بما يفعله وكيف يتصرف وكيف يضبط سلوكه في مختلف المواقف الحياتية التي تواجهه وردة فعله أزاء كل موقف منها .

((نور : لوحة مدهشة ! هناك تغيير في أسلوبك , لأول مرة أرى الكائنات الحية تملأ لوحتك , وكأني بك قد أدركت أخيرا قيمة الكائن الحي للتعبير عن عالمه الداخلي الحقيقي , صحيح أن الوانك سابقا كانت تعبر عن تلك الحالات النفسية , لكنها كانت حالات مجردة قابلة للتأويل الفوضوي , أما هنا فإننا أمام قصة حقيقية ترويها اللوحة , مهما اختلفت تأويلاتها فإنها ستلتقي جميعها في نقطة واحدة , وهي تخيل تفاصيل أسطورة ما بطلها عازف كمان مقطوع اليدين وحوله زوج من كل كائن من الكائنات الحية))[1] . ينطلق الزوج ليتحدث عن رأيه بما تنجزه زوجته من أعمال فنية تحمل سمة المغايرة الجمالية والتنوع الأسلوبي المبني على البعد النفسي , ويعيدنا هذا التحليل الذي يصف فيه الزوج تأثير اللوحة التي رسمتها الزوجة الى رؤية الطبيب النفسي (سيغموند فرويد) الذي ركز في نظريته النفسية على تأثير مرحلة اللاوعي على مرحلة الوعي وكيف أنه فسر دور الفنان في معالجة قضايا الإنسان بعملية (التداعي الحر) , وهي عملية تمكن الفنان من معالجة الواقع عبر تخيله بعض التفاصيل التي يربطها بعالم الأحلام , وهو ما يجسده الزوج في تحليله للوحة التي رسمتها ريشة زوجته , فالزوج يحلل اللوحة بطريقة تربط بين الجانب النفسي وبين التأويل ويربط النتائج بأسطورة متخيلة عن عازف كمان مقطوع الأطراف ! وهنا فأن هذه الصورة المتخيلة تعكس العالم الغير مرئي والذي ينتمي لعالم الخيال والأحلام وانعكاس هذا العالم على الواقع وكيف يقدم نفسه على أنه جزءا مهما من معالجة الواقع .

[1] المصدر نفسه , ص 223 .

الفصل الرابع : النتائج والاستنتاجات

أولا النتائج :

1- تتأثر النصوص المسرحية بالنظريات السلوكية من منطلق الاهتمام المشترك بين علم النفس وبين الفن المسرحي بتبني كل منهم الاهتمام المفصل بتحليل الشخصية الانسانية من منطلقات نفسية وسلوكية .

2- ارتبطت الرؤية الفنية بالجانب الوظيفي لكلا الزوجان وهو ما أكدته النظرية السلوكية التي تحيل السلوك الى الجانب الغرضي الذي يوجه السلوك نحو غرض معين .

3- برز تأثير عامل الاقتران الاشتراطي لدى الزوج بشكل واضح وهو يدافع عن تخصصه الفني المرتبط بالمسرح والذي يعكس تأثير هذا العامل على سلوكه الشخصي .

4- عزز البعد النفسي من عملية تسيير السلوك الفردي لكلا الزوجان حيث مثل هذا البعد المحرك الرئيس للسلوك والتصرفات وهو ما يعكس حجم التأثير النفسي على مجمل السلوك الإنساني .

ثانيا : الاستنتاجات

1- يتشارك الفن المسرحي مع العلوم النفسية والسلوكية بالاهتمام الخاص بقضايا الإنسان وطرحها عبر النصوص المسرحية والنظريات السلوكية .

2- يبنى النص المسرحي على رؤية فنية ودرامية يتبناها الكاتب وعادة ما ترتبط هذه الرؤية بالجوانب والابعاد الخاصة برسم الشخصية وفي مقدمتها البعد النفسي لما لهذا البعد من تأثير مهم في تسيير سلوكيات وتصرفات الشخصية الدرامية .

3- تلعب العوامل النفسية المختلفة التي تبنتها النظريات السلوكية في عملية تسيير السلوكيات والتصرفات الفردية للشخصية التي تمثل عملية تحليل وتفسير نفسي للسوك .

4- يظهر جانب السلوك العام للشخصية كنتيجة لتفاعل عوامل التربية والنشوء والوراثة مضاف لها جوانب التأثير المباشر للبيئة الاجتماعية .

مصادر البحث ومراجعه

اولا : القواميس والمعاجم

1- لالاند (اندريه) . **موسوعة لالاند الفلسفية** , تعريب : خليل احمد خليل , أشراف : احمد عويدات , الجزء الثالث , (بيروت : دار عويدات , 2008) .

2- مدبولي (د. عبد المنعم) . **المعجم الموسوعي للتحليل النفسي** , (القاهرة : مكتبة مدبولي , ب ت).

3- وهبة (مراد) . **المعجم الفلسفي** , (القاهرة : دار قباء , 1998) .

ثانيا : الكتب

1- اسماعيل (د. بشرى) . **المدخل الى علم النفس في القرن 21** , الطبعة الأولى , (القاهرة : الاتجاهات الثقافية للنشر والتوزيع , 2007) .

2- رزوق(د. اسعد) . **موسوعة علم النفس** , مراجعة : د. عبد الله عبد الدايم , الطبعة الثالثة , (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر , 1987) .

3- الرقاد (د. هناء) . **نظريات الشخصية وقياسها** , الطبعة الأولى , (عمان , دار المأمون , 2018

4- الزيات (د. فتحي مصطفى) . **سيكولوجية التعلم بين المنظور الارتباطي والمنظور المعرفي** , الطبعة الثانية , (القاهرة : دار النشر للجامعات , 2004) .

5- سكنر (ف) . **تكنولوجيا السلوك الإنساني** , (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , سلسلة عالم المعرفة رقم (32) , 1980) .

6- الشماع (د. نعيمة) . **الشخصية : النظرية التقييم مناهج البحث** , (بغداد : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية , 1981) .
7- عبد الحميد (دز شاكر) . **التفضيل الجمالي : دراسة في سيكولوجية التذوق الفني** , (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب , 2016) .
8- غباري (ثائر) و خالد ابو شعيرة , **علم النفس التربوي وتطبيقاته الصفية** , الطبعة الأولى , (عمان : مكتبة المجتمع العربي , 2009) .
9- فرويد (سيغموند) . **الموجز في التحليل النفسي** , ترجمة : سامي محمود علي و عبد السلام القفاش , (القاهرة : مشروع القراءة للجميع , 2000) .
10- قاسم حسين الصالح (د . قاسم حسين) . **الإبداع في الفن** , (عمان : دار دجلة , 2011) .
11- مجموعة مؤلفين . **مراجع الشخصية : الهو والأنا والأنا العليا دراسة في التحليل النفسي** , ترجمة : وجيه أسعد (دمشق : منشورات وزارة الثقافة , 2002) .
12- ناصف (د. مصطفى) . **نظريات التعلم** , مراجعة : د. عطية محمود هنا , (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , سلسلة عالم المعرفة رقم (70) , 1983) .
13- النجار (د . خالد) . **نظرية التدافع : نحو نظرية لفهم وتفسير السلوك الإنساني** , (القاهرة : مؤسسة حورس الدولية , 2018) .

ثالثا : النصوص المسرحية

1- سلمون (نمر) . **مسرحية : يوم فقد الأمل ذاكرته** , نص مسرحي منشور في مجموعة : الكتابة على خشبة المسرح , الطبعة الأولى , (القاهرة : دار شرقيات للنشر والتوزيع , 2006) .

Abstract:

Behavioral theories played a prominent role in analyzing the psychological aspect of personality, especially in the field of interpreting human behavior and its reflection on the behaviors by analyzing motives and causes of its various kinds.

Behavioral theories are noted for their great openness to psychological and social studies that have followed the various circumstances and causes that affect the behavior and direct it in different directions. What distinguishes behavioral theories is their role in supporting the educational process, which makes learning an effective mean to achieve the goals and objectives of optimal behavior modification. Art in general, and theater in particular, had a prominent role in the process of changing behavior by presenting various psychological states through dramatic characters, as the psychological dimension plays a clear importance in drawing the dramatic personality.

This research sheds light on the emergence and development of behavioral theories and the link between these theories and the educational aspect, which takes theatrical art as a means of learning and change, especially in the field of human development that seeks to raise up the social reality and improve the social environment of human.